الخاتمة

يتضح للقارئ من خلال ما سردناه من غزوات ومعارك إسلامية منذ عهد النبي محمد ﷺ وحتى العصر الحديث أنها لم تكن مجرد مواقع حربية، بل صفحات مضيئة من التاريخ الإسلامي، تستفيد الأجيال المتعاقبة من تجاربها، وتستخلص منها الدروس التي تبين عوامل النصر وأسباب الهزيمة، كما أنها تعتبر منبعًا خصبا لدروس العسكرية الإسلامية من خلال القيم والمبادئ الأخلاقية التي أقرها الإسلام في الحروب، ومنها: حسن معاملة الأسرى، وعدم التعرض لدور العبادة والنساء والأطفال وكبار السن والشجر، وتؤكد تلك الغزوات والمعارك أن المسلمين خاضوها ليس بدافع الاعتداء بل دفاعًا عن النفس، ولمواجهة الغزاة الذين جاؤوا من كل حدب وصوب إلى بلادهم في المشرق والمغرب طمعًا في ثرواتها الطبيعية الوفيرة، وسعيًا دؤوبًا منهم لبلوغ هدفهم القديم لاحتلال أراضي بلاد المسلمين والسيطرة على موقعها الفريد ذوي الأهمية البالغة على خريطة العالم.

فالحروب التي خاضها المسلمون كانوا مجبرين على خوضها كرهًا للدفاع عن أنفسهم ودينهم الحنيف وحريتهم، وحماية لأوطانهم وحضارتهم من أولئك الغزاة، مصداقًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

والقراءة المتأنية لمقدمات وأحداث تلك المعارك الإسلامية وظروفها التاريخية تثبت لنا عدم صحة ما ذهب إليه المستشرقون الحاقدون على الإسلام عندما زعموا أن الإسلام انتشر بحد السيف، فالحقيقة التي تعمد المستشرقون تجاهلها هي أن الإسلام انتشر في الشرق والغرب من دون إراقة دماء الأبرياء، ودخلت معظم شعوب العالم في الإسلام بسبب تسامح العقيدة الإسلامية، وعدل الإسلام، وحسن الأخلاق التي يدعو إليها، وأمام حرص المسلمين في عصور الإسلام الأولى على التخلق بأخلاق الإسلام، فقد حبب غير المسلمين في الدخول في الدين الإسلامي أفواجًا طواعية من دون كره أو حرب.

ثم لينظر المتشككون وأرباب الشبهات إلى الإحصائيات الرسمية الحالية لأعداد الذين

يعتنقون الإسلام، والتي تدل على أن عدد المسلمين في ازدياد مستمر، وعلى الرغم من كل ما يناهم من اضطهاد وما يتعرضون له من عوامل الإغراء!! فهل أكرهنا الأوربيين والأمريكيين واليابانيين وغيرهم على دخول الإسلام؟! إن ما حدث معهم هو الذي حدث مع كل من أسلم في تاريخ الإسلام، إن القوة الحقيقية للإسلام داخلية ذاتية، إنه دين الفطرة الذي يُقنع أي باحث صادق، ويعجب أي قارئ محايد.

وأيسر من أن نستقصي الحروب وأسبابها في صدر الإسلام لنعي تلك الحقيقة، أن نلقي نظرة عامة على خريطة العالم في الوقت الحاضر، لنرى الشعوب التي دخلت في الإسلام دونما حرب أصلًا، إن السيوف لم تحمل بتاتًا في إندونيسيا وماليزيا والهند والصين، وسواحل القارة الإفريقية، وما يليها من سهول الصحاري الواسعة، ومع ذلك فأعداد المسلمين فيها هائلة! ولو كان هناك إكراه على الإسلام فكيف نفسر بقاء المسيحيين واليهود والوثنيين وأشباه الوثنيين إلى الآن داخل معظم بلاد العالم الإسلامي؟!

أما تشريع الجهاد في الإسلام فلم يكن لقهر الناس أو لإجبارهم على اعتناق الإسلام، وإنما كان لتحرير الإنسان وتحييد القوى الظالمة التي قد تحول بينه وبين الإسلام.

فالإسلام—إذن- إنما غزا القلوب، وأسر النفوس .. وإن كان بإمكان السيف أن يفتح أرضًا، فليس بإمكانه أبدًا أن يفتح قلبًا!!